مركز حمورابي

مخاطر الحرب الشاملة على الجبهة اللبنانية بين العوامل الكابحة والمؤججة

مخاطر الحرب الشاملة على الجبهة اللبنانية بين العوامل الكابحة والمؤججة

الأستاذ الدكتور عبد القادر دندن

أستاذ العلاقات الدولية – جامعة عنابة – الجزائر

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

30 أيلول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

منذ انطلاق معركة طوفان الأقصى في العام الماضي، دخلت منطقة الشرق الأوسط برمتها في دوامة أخرى من الفوضى والاضطرابات وعدم الاستقرار، مما يؤكد الطبيعة المتوترة التي عرفت بها المنطقة طيلة تاريخها تقريبا، وأعادت تلك العملية الأنظار مرة أخرى نحو المنطقة وأزماتها، بعد أن أخذت منها التطورات في أوكرانيا على الجبهة الأوروبية، والتوترات ونذر التأزم بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في منطقة الهندوباسيفيك، ليتصدر الشرق الأوسط المشهد الاستراتيجي العالمي مرة أخرى، ذلك أن ما جرى في غزة لم ينحصر في تلك البقعة الجغرافية الضيقة فحسب، بل امتدت آثاره وتداعياته نحو بقية الأرجاء ولا سيما في لبنان مع تدخل حزب الله إلى جانب المقاومة الفلسطينية في ذلك الصراع، وتدخل انصار الله الحوثيين في اليمن بقوة من خلال مظاهر التأييد القوية للمقاومة الفلسطينية، عبر عرقلة حركة سير الملاحة البحرية لجميع السفن الإسرائيلية أو المتجهة نحو موانئها في باب المندب والبحر الأحمر، مع الدور المحوري لإيران هناك بفضل تحالفاتها الاستراتيجية مع تلك الفصائل المسلحة سواء في لبنان أو اليمن وتوجيه ضربات صاروخية للكيان، وهو ما جعل احتمالات ومخاوف الحرب الشاملة وتوسع رقعة الصراع الشغل الشاغل لدول المنطقة وللقوى الدولية الأخرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والصين وروسيا، ويبدو أن الجبهة اللبنانية حاليا هي مصدر التخوف الأول بتوتراتها المتلاحقة والمتصاعدة.

يسيطر حزب الله اللبناني والذي يعتبره المراقبون احد اهم حلفاء إيران في المنطقة على جنوب لبنان، ويشكل جهازا أمنيا موازيا للجيش اللبناني النظامي والرسمي، واكتسب هذا الحزب شرعيته من دوره المحوري في تحرير الجنوب اللبناني وإجبار الكيان الصهيوني على الانسحاب منه، ثم جاءت حرب العام 2006، والتي حقق فيها الحزب مكاسب استراتيجية وشعبية كبيرة جراء حربه مع الاحتلال والتي كبده فيها خسائر كبيرة. وجاءت أحداث طوفان الأقصى لينخرط فيها الحزب منذ الأيام الأولى، عبر إعلان دعمه للمقاومة الفلسطينية وشروعه في عمليات استنزاف واسعة ومتفرقة ضد الشمال الإسرائيلي، مما تسبب في نزوح لسكان الشمال نحو مناطق أخرى، وانقسام القوات الإسرائيلية ومجهودها الحربي على جبهتين مباشرتين هما جبهة غزة في مواجهة حماس وجبهة الشمال في مواجهة حزب الله. ولكن عدة تطورات شهدتها جبهة الشمال أخذت الأضواء عن الأحداث الجارية في قطاع غزة، بداية مع تفجيرات أجهزة البيجر وأجهزة لاسلكية لأعضاء في حزب الله في 17 من تشرين الأول مما خلف عشرات الضحايا

وآلاف الجرحى، وتصاعدت عمليات الاغتيال لقادة الحزب البارزين في الضاحية الجنوبية لبيروت، وأهمها عملية اغتيال إبراهيم عقيل وعدد من القادة الآخرين في قصف مركز على موقع عقدهم لاجتماع أمني، بعد أيام قليلة من عمليات تفجير البيجروبالضبط في 20 تشرين الأول، وعملية اغتيال قيادي آخر في الضاحية الجنوبية في قصف من طائرة أف 35 على الضاحية الجنوبية يوم 26 تشرين الأول، ورد حزب الله على كل ذلك هجمات صاروخية مكثفة على مواقع عسكرية وحيوية في شمال إسرائيل، مما يجعل شهر تشرين الأول شهر الأحداث الأكثر تصعيدا على الجبهة اللبنانية.

الى ان وصلت الهجمات الصهيونية الى اغتيال الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله نفسه في يوم الجمعة المصادف 27 ايلول – 2024في تحول وتطور خطير للعدوان ولمجريات الحرب .

هذا التصعيد، زاد المخاوف بحدة من مغبة نشوب حرب شاملة بين الطرفين على الجبهة اللبنانية، تعصف بما تبقى من استقرار هش في المنطقة، مع ما يعنيه ذلك من احتمال تدخل أكبر من طرف إيران لدعم حليفها الإقليمي الاقوى حزب الله، واضطرار الولايات المتحدة لدعم إسرائيل في استمرار لسلسلة دعمها اللامشروط واللامتناهي للكيان الصهيوني، وتوقعات بدخول انصار الله الحوثيين مرة أخرى على الخط نصرة لنظرائهم في حزب الله فضلا عن دحول بعض الفصائل العراقية المسلحة الى ساحة القتال بشكل اكبر من السابق، لتتشابك أكثر خيوط اللعبة الاستراتيجية الدموية في المنطقة، وتتسع بالشكل الذي قد لا يمكن التحكم فيه، فكما يقال قد نتحكم في تاريخ بدأ الحرب ولكن لا أحد يمكنه التحكم في مجرياتها أو موعد نهايتها. ويتحكم في سيناريو التصعيد وشن حرب شاملة بين إسرائيل وحزب الله من عدمها مجموعة من العوامل التي نصفها بالمؤجحة والكابحة، بحسب قدرتها إما على لجم طرفي الصراع، وإبقاء النزاع بينهما في حدود قواعد الاشتباك المعتادة، أو تلك الدفع باتجاه الحرب وتأجيج الصراع وجعلها أكثر كلفة ودموية واستدامة.

وتتركز أهم العوامل الدافعة باتجاه حرب شاملة على الجبهة اللبنانية لدى الجانب الصهيوني، فهذا الكيان بحاجة إلى تحقيق حالة ردع أمام حزب الله، من خلال تكثيف الضربات الحساسة والنوعية تجاه أهداف تابعة له، سواء كانت عبارة عن قادة وكوادر بشرية للحزب، أو بنى تحتية عسكرية خصوصا الصاروخية منها وتلك المتعلقة بالاتصالات، ومختلف عمليات اغتيال قادة الحزب العسكريين وتفجيرات

البيجر خير دليل على ذلك، ومثل هذه العمليات المستمرة تدفع حزب الله نحو ردود أكثر تصعيدا بما يتناسب مع حجم الضرر الذي تلحقه به الهجمات الصهيونيةة، ليتمكن بدوره من تحقيق ردع متواز مع جيش الاحتلال، ولإثبات كذلك وجوده ميدانيا وقدرته على الرد للإسرائيليين وللبنانيين ولمختلف القوى الإقليمية والدولية، فشعبية ومكانة وشرعية حزب الله أضحت مرهونة بمدى قدرته على مجاراة الضربات الصهيونية والرد عليها بشكل يثبت اقتداره، وبالتالي فإن هذه الدائرة المغلقة من الفعل ورد الفعل، من بين العوامل المؤججة للصراع والمنذرة باحتمالية نشوب الحرب الشاملة التي يخشاها الجميع.

ويكمن العامل الأكثر دفعا بإسرائيل نحو احتمالية نهج أسلوب الحرب الشاملة في تضرر المناطق الشمالية بحدة، بسبب هجمات حزب الله والتوتر على الجبهة اللبنانية، إذ فاق عدد النازحين الإسرائيليين من الشمال الـ 200 الف نازح، مع تكلفة مالية هائلة لإيواء ذلك العدد في فنادق ومناطق متعددة في بقاع مختلفة من الكيان، يضاف إلى ذلك الضغوط التي تفرضها الأعداد الأخرى للنازحين من غلاف غزة، حيث يفوق العدد الإجمالي للنازحين داخليا في إسرائيل منذ السابع من تشرين الأول نصف مليون نازح، وتفرض تلك الأعداد ضغطا هائلا على الحكومة الصهيونية، بفعل التكلفة المادية الكبيرة للتكفل بهم، ومطالبتهم بتوفير الأمن لعودتهم إلى مساكنهم وأعمالهم، ولو تطلب ذلك حربا شاملة ضد حزب الله لإجباره على التوقف عن تهديد الحدود الشمالية للكيان المحتل.

ويساهم الخطاب الصهيوني في إشاعة أجواء من التخوف من الإقدام على حرب شاملة، مع كثرة الحديث الصهيوني عن تحقيق ردع صارم لحزب الله والسعي لتدمير إمكاناته العسكرية، وذلك ما قد لا يتحقق إلا عبر الحرب واسعة النطاق، مع إقدام القيادة الصهيونية على نقل المزيد من العتاد والألوية نحو الجبهة الشمالية، وتزايد الغارات على الضاحية الجنوبية لبيروت، فيما يشي بتغير ولو جزئي ونسبي لحد الآن في الأولويات الاستراتيجية العسكرية لإسرائيل بتحويل التركيز نحو الشمال بدلا من قطاع غزة.

بالمقابل فهنالك العديد من العوامل الكابحة لخيار الحرب الشاملة، ويتغذى هذا السيناريو بالنسبة للجانبين من المعطيات والمتغيرات التالية:

- التكلفة الباهظة للحرب، فإسرائيل تعيش حربا غير مسبوقة في تاريخها منذ السابع من تشرين الأول، وهي الأعلى تكلفة لحد الآن من بين كل الحروب التي خاضتها، ومن المتوقع أن تبلغ هذه التكلفة بحسب أرقام رسمية إسرائيلية 67 مليار دولار بحلول عام 2025. كما أن جبهة قطاع غزة ما تزال مشتعلة وإسرائيل عاجزة لحد الآن عن تحقيق أي من أهدافها الاستراتيجية، سواء استعادة الأسرى، أو تحطيم قدرات حماس.

- الوضع الداخلي اللبناني الذي يعيق توجه حزب الله نحو حرب شاملة، فهنالك معارضة واسعة لإقحام البلاد في مثل تلك الحرب، ولا سيما في ظل الأوضاع المأساوية التي تعيشها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، مع تواصل الأزمة الاقتصادية الحادة، وتدني غير مسبوق في مستوى معيشة المواطن اللبناني، واستمرار التطاحن السياسي بين مختلف القوى اللبنانية، كما أن هنالك مخاوف من حدوث مواجهات مسلحة بين حزب الله وفصائل لبنانية مسيحية بالخصوص معارضة لنهج الحزب، خاصة إذا ما أدخل البلاد في أتون حرب تحطم ما تبقى من مقوماتها المتهالكة أصلا. في ظل موجة نزوح من سكان الجنوب اللبناني نحو مناطق لبنانية أكثر أمان وهي الأعداد التي قدرها وزير الخارجية اللبناني بـ 110 آلاف نازح قبل التصعيد الأخير، وهي الأعداد التي تضاعفت بعد الغارات الإسرائيلية المستمرة لتقترب من نصف مليون نازح.

- ضغوطات ومواقف القوى الإقليمية والدولية، إذ ليس من مصلحة الجميع توسع رقعة الحرب وتحولها إلى الطابع الشامل على الجبهة اللبنانية، مع ما ينتج عن ذلك من تصاعد للدعم الإيراني المادي والعسكري والدبلوماسي لحزب الله، ودخول الولايات المتحدة على الخط إلى جانب المحتل كالعادة، ويبدو أن كلا من واشنطن وطهران غير مستعدتان في الوقت الحالي لخوض مثل تلك المغامرة، فإيران تعاني من تبعات العقوبات والأزمة الاقتصادية، والولايات المتحدة مشتتة بين جبهتي أوكرانيا والشرق الأوسط، والوضعية السياسية الغامضة المرتبطة بفترة انتخابات رئاسية تجعل من سلطة اتخاذ قرار أمريكي لدعم حرب شاملة إسرائيلية على لبنان أقل احتمالية. كما برزت للعلن كذلك مبادرات وساطة لكبح جماح طرفي الصراع، أهمها مبادرة وقف إطلاق النار لمدة 21 يوما بهدف منع تطور النزاع إلى حرب شاملة، وإيجاد قنوات وحلول دبلوماسية لتأمين الحدود الشمالية للبنان بدلا من خيار الحرب، مع بروز تقارير مشجعة عن موافقة مبدئية لرئيس الوزراء بنيامين نتانياهو على مقترح الهدنة المطروح من باريس وواشنطن.

إن السعي نحو الحرب الشاملة بالنسبة للطرفين وخاصة بالنسبة للكيان الصهيوني، هو مسألة محفوفة بالمخاطر الاستراتيجية التي تمس المنطقة بأكملها، فليس بإمكان أي طرف ضمان الحدود التي ستتوقف عندها الحرب، كما أنه ليست هنالك ضمانة لإمكانية تحقيق أي منهما لأهدافه الاستراتيجية بواسطة الحرب، وبالتالي فخوض غمار الحرب الشاملة هو حاليا مغامرة غير مدروسة العواقب، قد تدخل المنطقة في دوامة فوضى تزيد من تعقد الأوضاع الأمنية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية فيها، مع انتقال تلك التداعيات نحو التأثير سلبا على الأمن والاستقرار عالميا، وعلى حركة الاقتصاد والتجارة دوليا، لذلك فمن مصلحة القوى الإقليمية والدولية الفاعلة أن تمنع ذلك التوجه، وأن لا تسمح لرعونة صانع القرار في تل أبيب مع نهجه اليميني المتطرف، ذو النظرة الضيقة والمصلحة الشخصية والحزبية أن ينجر نحو أي قرار غير عقلاني باتجاه الحرب، رغم أن التقديرات تشير إلى إمكانية أكبر لتغليب سيناريو وعوامل الكبح والتهدئة وإبقاء المواجهة على الأقل في حدودها الحالية، أو النزول بها إن أمكن لمستويات أقل حدة مما هي عليه الآن، ولكن ينبغي الإسراع بإيجاد تسوية مرضية لمختلف الأطراف، لأنه كلما استمرت المواجهات كلما ازدادت احتمالات التصعيد والتورط في حرب، لا نعرف متى تبدأ ولا نعرف متى تنتهي وبأي تكلفة.

وان عملية اغتيال السيد حسن نصر الله قد تقلب كل التوقعات والرهانات وتفضي الى توسع غير مسبوق في الحرب وتزايد عدد اطرافها حيث لم يعد امام الكيان الصهيوني خيارات كثيرة للتعامل مع حزب الله بعد اغيال امينه العام غير الاستمرار في الضغط على بنية حزب الله وعلى سلاحه وملاحقة قادته كما لم يعد امام حزب الله الا مزيد من المقاومة والانتقام من هذا الكيان المحتل الذي لا يتردد في استخدام كل انواع القتل والتدمير والتنكيل .

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة